

## 10690 - كيفية تعامل المسلم مع كتب العلم

### السؤال

كيف يتعامل المسلم مع كتب العلم؟.

### الإجابة المفصلة

الأمر الأول : كيف

تتعامل مع الكتاب ؟

التعامل مع الكتاب يكون بعدة أمور :

الأول : معرفة موضوعه : حتى يستفيد الإنسان

منه ؛ لأنه يحتاج إلى التخصص ، ربما يكون كتاب سحر أو شعوذة أو باطل ، فلا بد

من معرفة موضوع الكتاب حتى تحصل الفائدة منه .

الثاني : معرفة مصطلحاته :

لأن معرفة المصطلحات يحصل بها أنك تحفظ

أوقاتاً كثيرة ، وهذا يفعله العلماء في مقدمات الكتب ، فمثلاً نعرف أن صاحب (

بلوغ المرام ) إذا قال متفق عليه يعني رواه البخاري ومسلم ، لكن صاحب (المنتقى)

على خلاف ذلك فإذا قال – صاحب المنتقى – متفق عليه فإنه يعني رواه الإمام أحمد

، والبخاري ومسلم ، وكذلك في كتب الفقه يفرق كثيرٌ من العلماء بين القولين ،

والوجهين ، والروايتين ، والاحتمالين ، فالروايتان عن الإمام ، والوجهان عن الأصحاب

، وهم أصحاب المذاهب الكبار أهل التوجيه ، والاحتمالان للتردد بين قولين ، والقولان

أعم من ذلك كله .

كذلك يحتاج أن تعرف مثلاً إذا قال المؤلف

إجماعاً أو وفاقاً ، إذا قال إجماعاً يعني بين الأمة ، وإذا قال وفاقاً يعني

مع الأئمة الثلاثة كما هو اصطلاح "صاحب الفروع" في فقه الحنابلة ، وكذلك بقية

أصحاب المذاهب كل له اصطلاح ، فلا بد أن تعرف اصطلاح المؤلف .

الثالث : معرفة أسلوبه وعباراته :

ولهذا تجد أنك إذا قرأت الكتاب أول تقرأ  
لا سيما في الكتب العلمية المملوءة علماً تجد أنه تمر بك العبارة تحتاج إلى تأمل  
وتفكير في معناها ؛ لأنك لم تألفه ، فإذا كررت هذا الكتاب ألفتة .

وهناك أيضاً أمر خارج مع الكتاب وهو : التعليق  
بالهوامش أو الحواشي ، فهذا أيضاً مما يجب على طالب العلم أن يفتنمه ، وإذا مرت به  
مسألة تحتاج إلى شرح أو إلى دليل ، أو إلى تعليل ، ويخشى أن ينساه فإنه يُعلّق  
إما بالهامش - وهو الذي على اليمين أو اليسار - أو بالحاشية - وهي التي بالأسفل  
- وكثيراً ما يفوت الإنسان مثل الفوائد التي لو علقها لم تستغرق عليه إلا دقيقة  
أو دقيقتين ، ثم إذا عاد ليتذكرها بقي مدة يتذكرها وقد لا يذكرها .

فينبغي على طالب العلم أن يعتني بذلك لا  
سيما في كتب الفقه ، يمر بك في بعض الكتب مسألة وحكمها ويحصل عندك توقف وإشكال  
، فإذا رجعت للكتب - التي أوسع من الكتاب الذي بين يديك - ووجدت قولاً يوضح المسألة  
فإنك تعلق القول من أجل أن ترجع إليه مرة أخرى إذا احتجت إليه دون الرجوع إلى  
أصل الكتاب الذي نقلت منه ، فهذا مما يوفر عليك الوقت .

الأمر الثاني : مطالعة الكتب على نوعين  
:

أولاً : مطالعة تدبر وتفهم ، فهذه لا بد  
أن يتأمل الإنسان ويتأني .

ثانياً : مطالعة استطلاع فقط ينظر من خلالها  
على موضوع الكتاب ، وما فيه من

مباحث ، ويتعرف على مضمون الكتاب ، وذلك من خلال تصفح وقراءة سريعة للكتاب ، فهذه  
لا يحصل فيها من التأمل والتدبر ما يحصل في النوع الأول ، والطريقة المثلى في  
قراءة الكتب ، التدبر والتفكير في المعاني ، والاستعانة بذوي الفهم من أهل العلم  
الصحيح ، ولا يخفى أن أولى الكتب بذلك ؛ كتاب الله عز وجل . وعليك بالصبر والمثابرة  
، فما أعطى الإنسان عطاء خيراً وأوسع من الصبر .

الأمر الثالث : جمع الكتب :

ينبغي لطالب العلم أن يحرص على جمع الكتب ، ولكن يبدأ بالأهم فالأهم ، فإذا كان الإنسان قليل ذات اليد ، فليس من الخير وليس من الحكمة أن يشتري كتباً كثيرة يُلزم نفسه بغرامتها قيمتها ، فإن هذا من سوء التصرف ، وإذا لم يمكنك أن تشتري من مالك فيمكنك أن تستعير من أي مكتبة .

الأمر الرابع : الحرص على الكتب المهمة

:

يجب على طالب العلم أن يحرص على الكتب الأمهات الأصول دون المؤلفات حديثاً ؛ لأن بعض المؤلفين حديثاً ليس عنده العلم الراسخ ، ولهذا إذا قرأت ما كتبوا تجد أنه سطحي ، قد ينقل الشيء بلفظه ، وقد يحرفه إلى عبارة طويلة لكنها غثاء ، فعليك بالأمهات كتب السلف فإنها خير وأبرك بكثير من كتب الخلف .

لأن غالب كتب المتأخرين قليلة المعاني ، كثيرة المباني ، تقرأ صفحة كاملة يمكن أن تلخصها في سطر أو سطرين ، لكن كتب السلف تجدها هينة ، لينة ، سهلة رصينة ، لا تجد كلمة واحدة ليس لها معنى .

ومن أجل الكتب التي يجب على طالب العلم أن يحرص عليها كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله – ومن المعلوم أن كتب ابن القيم أسهل وأسلس ، لأن شيخ الإسلام ابن تيمية كانت عباراته قوية لغزارة علمه ، وتوقد ذهنه ، وابن القيم رأى بيتاً معموراً فكان منه التحسين والترتيب ، ولسنا نريد بذلك أن نقول إن ابن القيم نسخة من ابن تيمية بل ابن القيم حر إذا رأى شيخه خالف ما يراه صواباً تكلم

، لما رأى وجوب فسخ الحج إلى العمرة ، وأن ابن عباس – رضي الله عنهما – يرى أنه يجب على من لم يسق الهدي إذا أحرم بحج أو قران أن يفسخه إلى عمرة ، وكان شيخ الإسلام أن الوجوب خاص بالصحابة ، قال : وأنا إلى قوله أميل مني إلى قول شيخنا ، فصرح بمخالفته ، فهو رحمه الله مستقل ، حر الفكر ، لكن لا غرو أن يتابع شيخه رحمه الله فيما يراه حقاً وصواباً ، ولا شك أنك إذا تأملت غالب اختيارات شيخ الإسلام وجدت أنها هي الصواب وهذا أمر يعرفه من تدبر كتبهما .

الأمر الخامس : تقويم الكتب :

الكتب تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : كتب خير .

القسم الثاني : كتب شر .

القسم الثالث : كتب لا خير ولا شر .

فاحرص على أن تكون مكتبتك خالية من الكتب التي ليس فيها خير أو التي فيها شر , وهناك كتب يقال إنها كتب أدب , ولكنها تقطع الوقت وتقتله من غير فائدة , وهناك كتب ضارة ذات أفكار معينة وذات منحنى معين , فهذه أيضاً لا تدخل المكتبة سواء كان ذلك في المنهج أو كان ذلك في العقيدة , مثل كتب المبتدعة التي تضر في العقيدة , والكتب الثورية التي تضر في المنهج .

وعموماً كل كُتُب تضر فلا تدخل مكتبتك ؛ لأن الكتب غذاء للروح كالطعام والشراب للبدن , فإذا تغذيت بمثل هذه الكتب صار عليك ضرر عظيم واتجهت اتجاههاً مخالفاً لمنهج طالب العلم الصحيح .